زيغود يوسف والتخطيط الثوري لمنطقة الشمال القسنطيني
1955ـ 1956

بقلم
د/ جمال بلفردي(*)

ملخص

إن المتأمل والدارس لمسار الثورة الجزائرية يستنبط أن مكمن عظمتها في التضحيات التي قدمت كعربون لتحقيق هدف الاستقلال الوطني كما هو مدون في السطر الأخير من بيان أول نوفمبر1954، أين عاهدت الطليعة الثورية نفسها، بأن تكون وقودا للكفاح المسلح " نصرا، أو استشهادا "، ولا عجب في يكون الشهيد زيغود زيغود أحد أبطال الجزائر الذين كان لهم دور محوري في تزمين الثورة والتأسيس للانطلاقة الثانية لها، وبالطبع فإن المقصد من الجملة الأخيرة لا يحيد عن هجومات الشمال القسنطيني أوت 1955، والتي كان زيغود قائدها، ومنفذها، ومتحملا لعواقبها، ويمكن لنا من خلال ثنايا هذه المحاولة أن نميط اللثام على بعض جوانب الظل حول هذا الحدث التاريخي، والرمز المنظّر له.

الكلمات الدالة: هجومات 1955/08/20، زيغود يوسف، منطقة الشمال القسنطيني التاريخية.

مقدمة

شكلت انطلاقة الثورة الجزائرية ليلة أول نوفمبر 1954 الحدث الأسطوري للجزائريين، وعلامة فارقة بين مرحلتي الحركة الوطنية، ودخلت معها المناطق التاريخية الخمس في مرحلة الكفاح المسلح، والذي تباينت فيه الانطلاقة الثورية من منطقة للأخرى، فكان بوتيرة متصاعدة في منطقتي الأوراس والقبائل، وبدرجة أقل في المنطقة الرابعة نظير توفر الإمكانات من رجال، وسلاح، وجغرافيا منيعة، ومناطق لم يستكمل فيها التنظيم الثوري أركانه فيها كالمنطقة الخامسة، وانطلاقة أقل مما هو متوقع ومأمول بالمنطقة الثانية التاريخية "الشمال القسنطيني"، والتي شكلت تركيبة قيادتها في اجتماع 22 التاريخي النصيب الوافر من الحضور.

(*) أستاذ محاضر "أ" بقسم العلوم الإنسانية ـ كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ـ جامعة الوادي..

ورغم هذا وذاك، ومتراجحات الأدبيات والدراسات التي تناولت تاريخ المنطقة الثانية فإننا ننحو إلى ترجيح أن المشكل الحاصل في اجتماع 22 بين بوضياف، ومجموعة قسنطينة قد أرسى بضلاله على الانطلاقة في منطقة الشمال القسنطيني دون شك، ودون الاسترسال في حيثيات ما جاء في متون تلك الأدبيات التاريخية، لأن المحاولة تدور حول الحدث، والتي لا ندعي فيها أن ما جاء فيها جديد، وإنما تحمل قراءة نقدية لبعض المذكرات الشخصية، ومقاربة تاريخية لبعض الكتابات المتخصصة منها والمهتمة بالتاريخ.

1)- جهود زيغود يوسف في بعث النشاط العسكري بالمنطقة التاريخية الثانية 1955ـ1956:

بعد الاجتماع التاريخي لمجموعة 22 في 1954/06/25، و الذي عرف تحولا جذريا في مسار التيار الثوري نحو التوجه المباشر للتحضير والتركيز على الجوانب المتعلقة بالترتيبات التنظيمية التي تؤدي إلى إشعال فتيل الانطلاقة الثورية، وكان ممن شاركوا و حضروا عن الشمال القسنطيني[1] زيغود يوسف[2] إلى جانب إطارات المنظمة الخاصة بمنطقة الشمال القسنطيني، وما يمكنني أن أركز عليه من خلال تواتر الروايات والدراسات لتي تناولت الجانب الاجتماعي الشهيد هو اتفاقها حول جملة من الصفات ما إن تجتمع في شخص إلاّ أكسبته و أهلته لأن يكون جديرا بشرف القيادة، وهي (الصبر، والتواضع، والشعبية، والإخلاص، والإرادة).

ولقد لخص محمد الطيب العلوي شخصية زيغود يوسف عندما كان نائبا بالمجلس البلدي لسمندو" زيغود يوسف حاليا " في كلمتين لهما دلالتهما العميقة حول ما يريده هذا الثائر الذي كان ينتظر ساعة الكفاح المسلح شوقا وحزما. فهو في حياته الشخصية حدادا، و في الواقع يعيش مع رفاقه المناضلين عالم الإعداد لقلب الأوضاع الاستعمارية المتعفنة... "فهو نائب في النهار ثائر بالليل..."[3].

إن قوة التأطير التي كانت عليها المنطقة الثانية التاريخية قد صدمتها الارتباك الشديد الذي اعترى أداء القادة فيها أثناء انطلاقة الثورة و ما بعدها من شهور رغم ما بذله ديدوش مراد القائد الأول من جهود لترميم و تصحيح مسار الانطلاقة بعد استشهاد نائبه باجي مختار بمجاز الصفا بقالمة في 1954/11/17 رفقة أربعة من رفقائه، و لم يكن هذا التردد و التعثر ميزة خاصة بناحية واحدة من نواحي الشمال القسنطيني، وإنما كان علامة ظاهرة في مجموعها زادها سقوط ديدوش مراد شهيدا رفقة مجموعة من المجاهدين المرافقين له في واد بوكركر يوم 1955/01/18الوضعية أكثر تعقيدا [4]، أما بعد هذا التاريخ وفي مشهد ثوري جديد للمنطقة الثانية تمكنت قيادتها من الحفاظ على استمرارية أداء القيادة فيها لإنجاح المشروع الثوري، و هكذا تم تثبيت وتعيين زيغود يوسف في مكان القائد الشهيد ديدوش مراد، وقد عمل القائد التاريخي الثاني للمنطقة الثانية على

تحمل عناء المسؤوليات المختلفة[5].

وهكذا ظهرت المستجدات وطئا على الجزائريين تزامنا مع انطلاق العمليات الثورية ابتداء من دائرة الميلية بالشمال القسنطيني، وقد شملت قطع الطرق و الجسور و أعمدة الهاتف و حرق الفلين الذي يحتكر تجارته المعمرين وأدت في النهاية إلى عزل مدينة القل، و علقت جريدة "لاديباش " الصادرة بتاريخ 1955/05/11 على هذه العملية بعنوان كبير الميلية المعزولة، كذلك تمكن المجاهدون من قتل دركيين فرنسيين في زرزور[6].

وهي تقريبا الحوادث التي جاء ذكرها في مذكرات كافي دون استرسال، اين اختار القائد زيغود الفترة المحددة بين الأول، والثامن ماي من سنة 1955 تخليدا وردا على مجازر 1945/05/08 وكانت المفاجأة الكبرى تفجير مطعم الكازينو بقلب مدينة قسنطينة بل وواصلت جرأة القيادة بإرسال زيغود لفرقة من الكوماندو لمهاجمة معقل تواجد العقيد ديكورنو[7] بالحروش والذي كان يشرف على فرقة المظليين.

وقد حرص القائد زيغود يوسف و طوال مسيرته القيادية للمنطقة الثانية مؤكدا على ضرورة العمل بمبدأ القيادة الجماعية الذي اتفقت عليه مجموعة الست في آخر اجتماع لها في 1954/10/24 في القمة كما في القاعدة التي أولى لها اهتمام منقطع النظير من خلال انشاء لجان العدل بالمناطق الريفية لتسهيل شؤون الاهالي بها من جهة وارساء دعائم الثورة فيه من جهة أخرى[8].

و قد ردّت القوات الفرنسية كعادتها على الشعب الأعزل من خلال انتقامها من سكان القرى " أولاد صالح " أولاد عربي " و " زرزور"، و بدأت بقنبلة تلك القرى و الغابات المحيطة بها فكان أول شهيد سقط بتلك القرى خنخار عمر، وتلاه الشهيد غربي زايد الأول سقط بمشتى أبو موسى والثاني بقرية أولاد صالح[9] – وكما قلنا – كان ذلك انتقاما من عمليات التخريب و التفجير التي قام بها الشعب الجزائري بين01-08 ماي 1955 التي رفعت من معنويات الشعب الجزائري بالمنطقة الثانية.

إن المتمعن لهذه العمليات والتي حاول فيها القائد زيغود يوسف لملمة وترميم التعثر في عملية الانطلاقة بالمنطقة الثانية محاولا اللحاق بركب الكفاح المسلح بالمنطقتين المجاورتين له الأوراس و القبائل، ويلاحظ فيها البساطة و الضعف ومن الناحيتين السياسية والعسكرية التي لم يتعد عدد مجاهديها إلى غاية سقوط مراد ديدوش شهيدا في بداية 1955، (50) مجاهدا، ولم يتجاوز هذا العدد عشية انطلاق الهجومات أكثر من (175) مجاهدا[10]

وربما كانت هذه أحد الأسباب التي دعت زيغود يوسف على عقد العزم على القاء بالتنظيم الثوري إلى الشعب لاحتضانه، أو لنقل أنه فكر في الطريق الصحيح و السليم " الخارق للعادة "

التي بها يمكن تحقيق أهداف تتجلى أهم مظاهرها عند انتفاضة 20 أوت 1955، و التي تكون محور العنصر الثاني من هذه المحاولة البحثية.

2- هجومات الشمال القسنطيني كمنعطف هام في مسار الثورة التحريرية 20-22 أوت 1955:

باتت الوضعية الثورية في المنطقة التاريخية الثانية بين ربيع و صيف 1955 أكثر صعوبة مما كان تتصوره القيادة التاريخية لها، و قد دفعت في ذلك ثمنا باهظا باستشهاد باجي مختار و ديدوش مراد بسبب ردود الفعل الفرنسية القمعية الواسعة التي تعرضت لها مختلف الشرائح الاجتماعية الريفية و بالأخص في الشمال القسنطيني.

و مهما كانت النوايا أو لنقل الاستراتيجية التي اعتمدها القائد زيغود يوسف من أجل إنجاح هذه الهجومات[11]، و التي لابد لها من مكامن و دواعي تركته يقدم على هذا الفعل والتخطيط له لتلقين القوات الفرنسية دروسا في مدى التفوق التكتيكي الثوري الذي انطلق من الاوراس، وتدجين مقولات العسكريين الفرنسيين بأن ما يدور في المنطقة الأولى ليس حركة قطاع الطرق.بل وتثبيتها وترسيخها على أنها حركة ثورية بدأت تتوفر لها بعض شروط الاستمرارية و الانتشار وهكذا بدأت فكرة الهجوم الشامل وبخطة عسكرية تلوح في الأفق كمفتاح لتحقيق أهدافها و نتائج تكون في مستوى تطلعات قيادة الشمال القسنطيني.

ويمكن القول و من خلال بعض الأدبيات التاريخية التي دونت لهذا الحدث التاريخي الهام في مسار الثورة المسلحة أن التخطيط لتلك العمليات لم يكن ينم عبر النزوع نحو المغامرة لدى قيادة المنطقة الثانية وانما كان يعبر عن الرغبة الجامحة من فك أسر المنطقة بكاملها والتي ناءت تحت وطئة العزلة و الإختناق الذي ميز وضعية الشمال القسنطيني من انطلاقة الثورة حتى إلى تلك الفترة " أواسط 1955 "، وعن الشعور بالمسؤولية المعنوية و التاريخية اتجاه المنطقة الاولى التي تحملت إلى حدود تلك الفترة المذكورة أثار وانعكاسات السياسة التطويقية للقوات الفرنسية وكذا حالة الطوارئ المفروضة عليها للقضاء على العمل المسلح في مهده.

وبذلك يكون قائد المنطقة الثانية قد استجاب لنداء قائد المنطقة الأولى بالنيابة بشير شيحاني[12] الذي طلب فيه تكثيف العمليات المختلفة ضد القوات الفرنسية لأن ما قامت به قيادة المنطقة الثانية إلى حدود تلك الفترة لم يكن كافيا ولا رادعا لتحقيق هدف تخفيف الحصار على الأوراس[13].

وكيفما كانت الدواعي و الأسباب التي أدت إلى هجومات الشمال القسنطيني فإن مسؤولية القيادة الثورية بالمنطقة الثانية اتجاه المناطق الثورية الأخرى خاصة الأوراس كانت مسألة موت أو حياة، وكذا استغلال تلك الهجومات في توسيع الانفجار الثوري الشامل كهدف اسمى لها[14]

ولم تتفق الدراسات التي اعتمدناها حول التحضيرات الهامة لأشغال الاجتماع التخطيطي للهجومات، والذي حدد بالفترة الممتدة بين 25 جوان إلى 27 جويلية 1955[15]، ووقع اختيار المكان الذي اتفقت حوله غالبية الدراسات بالمكان المسمى جبل ـ دشرة الزمان ـ (الحدائق حاليا) في دار رابح يونس في الطريق الجبلي الرابط بين سكيكدة و القل، وقدتم في هذا الاجتماع تحديد أماكن وأهداف العمليات الثورية خاصة التي تتمركز فيها معسكرات الجيش الفرنسي ومصالحه الحيوية (المطار، الميناء، مراكز الشرطة والدرك، مفرزات الجيش، مزارع المعمرين، وخطوط السكك الحديدية) واختير حوالي 39 هدفا للعمليات العسكرية و تركيزها خاصة في المدن الكبرى للمنطقة الثانية: قسنطينة، سكيكدة، الحروش، القل، ...، وكذا تحديد التوقيت الزماني الذي حدد بمنتصف النهار من يوم السبت الذي يصادف يوم 20 أوت 1955، والمغزى من اختيار هذا التوقيت الزاني المحدد بمنتصف النهار تزامنا مع فترة الاسترخاء و تناول وجبة الغداء، كما أنه توقيت غير متوقع من طرف الفرنسيين للهجوم وفرصة لإقحام عدد أكبر من السكان[16] في خضم الهجوم، و خلال الاجتماع السالف تقرر أن يدوم الهجوم ثلاثة أيام متتالية من 20 أوت إلى 22 أوت 1955، ووزعت خلاله أيضا المنشورات الخاصة لتنفيذ العمليات المحددة[17].

وهكذا بدأ الهجوم الكبير يوم 20 أوت 1955 في المناطق و النواحي التي حددت سلفا مع إعدام من لا يستجيب لهذا النداء، ووضع حد لكل من يقف أمام ارادة الشعب في الالتحاق بثورته، وقد تضمن تاريخ الهجوم ذكرى رمزية للشعوب المغاربية التي اتفقت فيها تيارات الحركة الوطنية في مرحلة ما على التكامل الكفاحي المغاربي للتحرر فكان التاريخ يشير إلى ذكرى نفي ملك المغرب محمد الخامس إلى جزيرة مدغشقر في نفس التاريخ من عام 1953.

ثم إن اختيار هذا التاريخ كان الغرض منه لفت انتباه الرأي العام الدولي إلى القضية الجزائرية ومساعدتها معنويا و ماديا، وتثبيتا لقرارات مؤتمر باندونغ يوم 12 جويلية 1955 الذي اعترف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، وفيه طالب الحاضرون أيضا تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الأمم المتحدة ديسمبر 1955[18].

لقد أعطت وحققت الهجومات جملة من الانجازات من قبيل تكريس القطيعة النهائية بين الجماهير الجزائرية و المجموعة الأوربية في الشمال القسنطيني واضعة بذلك حدّا لمناخ التعايش الذي كان سائدا آنذاك بين العرقين خاصة خلال الفترة التي أعقبت مجازر 08 ماي 1945 من جهة، ومن جهة أخرى يمكن القول أن الهجومات قد أبلغت رسالة سياسية مفادها قطع الطريق على المبادرات السلمية التي كانت كتلة النواب طرفا فيها وتحت قيادة علاوة عباس[19].

3- نتائج هجومات الشمال القسنطيني 20ـ22 أوت 1955 وتقييمها:

تعددت وتراوحت نتائج هجومات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955 بينما هو سياسي وعسكري، وما هو خارجي، وداخلي محلي لم يتعدى حدود الوطن إلاّ أن الواقع العسكري لردود الفعل الفرنسية شكل بما لا يدع مجالا للشك الصدمة التي ألمت بأبناء المنطقة خاصة في المدن الكبرى "سكيكدة، والقل "، وقد ركزت الصحافة الفرنسية في الجزائر على القتلى المدنيين، وأحصت في ذلك (71) من الجانب الفرنسي كما وصل عدد القتلى العسكرين لها (70) جنديا في وادي الزناتي وحدها، ومن خلال الدراسات التي اعتمدها الدكتور خيثر عبد النور الذي قدر عدد خسائر الكولون و التي حصرها فيما بين 71 و 125 قتيل كحدٍّ أدنى، وبلغت الخسائر في صفوف الجزائريين بين 1273 إلى 12000 كحدّ أقصى، وكان جلهم في مدن سكيكدة وعين عبيد و الخروب، والميلية، والقل [20].

واعترف بالمقابل العديد من قادة الفرنسيين الذين جيء بهم لإخماد الانتفاضة في الشمال القسنطيني ومنهم الجنرال أوساريس (النقيب حينئذ) إلى الاعتراف بأن القائد زيغود يوسف قد استطاع تكوين نوعا جديدا من الرجال الذين كانت الحياة بالنسبة لهم كالموت (الشهادة)، وكان همه من الهجومات تنبيه الرأي العام المحلي و الدولي على تحمل مسؤولياتها اتجاه دم الشعب الجزائري المراق من طرف القوات الفرنسية[21].

ولنعد إلى شهادات علي كافي وشيبوط وعمار قليل للحديث عن الوقع الكبير الذي أحدثته الهجومات والتي تحولت فيها منطقة الشمال من منطقة خامدة إلى بؤرة ثورية، وكانت الضربة القاضية للنظام الاستعماري في الجزائر مزيلة القناع عن وخرافة واسطورة الحوار الفرنسي الجزائري الذي كان يدعو إليه بعض الجزائريين[22].

وبغض النظر عن التباين في تحديد مكان[23] اللقاء لتقييم عملية 20 أوت 1955 بين عمار قليل وعلي كافي فإن نقطة التقاطع بينهما هو سرور قائد العملية بها، وتبين له أن التضحية المرغوب فيها قد أعطت النتائج المرجوة خاصة الرفع الجزئي للحصار على منطقة الأوراس، والثانية قبول الشعب لثورته في المنطقة الثانية.

ويرى علي كافي متأسفا على التشكيك في النتائج الإيجابية للهجومات لدى بعض الكتاب الجزائريين، ولا يعدوا أن يخرج سياق كلامه عن شخصية فرحات عباس الذي ذهب إلى القول بحسب على كافي دائما بأن الهجومات التي قادها زيغود كانت نتيجة أزمة ضمير تملكت قائدها بعد استشهاد ديدوش مراد، في حين – حسب كافي – تجد كاتبا كإيف كوريار في كتابه زمن الفهود يقر بأن الهجوم الأول الحقيقي لحرب الجزائر قد أرسى قواعد ثورية جديدة، وأن هناك

قبل، وبعد 20 أوت 1955 (24).

كما وضعت الهجومات حدا نهائيا للذين ترددوا في الانضمام و الالتحاق بالثورة و في هذا الصدد أصدرت كتلة (61) للنواب الجزائريين داخل المجلس الجزائري بلائحة صريحة رفضوا فيها اصلاحات لاكوست و طالبوا بالإعتراف بكيان جزائري مستقل(25).

وعموما لا يتسع المقام لذكر ودراسة وتقييم شامل لما أفرزته هجومات الشمال القسنطيني محليا، وإقليميا (على فرنسا) وعلى الرأي العام الدولي وبإمكانات متواضعة وتحت قيادة زيغود، وبنتائجها الوخيمة لاسيما البشرية منها على الشعب الجزائري يمكن طرح استفسار يتعلق فعلا بمدى استيعاب الجنرالات الحرب الفرنسية من استخلاص العبر من هجومات الشمال القسنطيني الذي اتسم بالهدوء – بحسب أحد الجنرالات – أثناء التسعة الاشهر التي تلت تلك الهجومات كنتيجة منطقية بزعمه بعد القضاء و قتل المنحرفين ! واللصوص المنتمين إلى ج، ت، وفي مدينة سكيكدة (26).

ويكمن المشكل الحاصل في الظروف والأهداف التي انطلقت منها هذه الهجومات قياسا بالثمن الذي دفعه سكان الشمال القسنطيني، وفتح بذلك سجالا للنقاشات السياسية والأيديولوجية التي تنحوا في الغالب إلى تنقيص من قيمة هذا الانجاز التاريخي الأصيل. إلى أن الأكيد ومن باب ما دبّت عليه البداهة الاحتقارية الاستعمارية لكل ما هو جزائري قد حفظته لنا الأدبيات و الدراسات التاريخية من مجازر مروعة ارتكبتها القوات الفرنسية في حق الجزائريين دون أفعال ولا ردود أفعال ولا مقاومات، وفي هذا الصدد لا يمكننا إلا الإشارة والاستشهاد بمجزرة غار فراشيش، ومجازر الثامن ماي 1945 التي خرج فيها الجزائريون للاحتفال بالنصر فكان الهولوكوست(المحرقة) الاستعمارية الفرنسية بمرصادهم (حصد أكثر من 45 ألف نفس جزائري خلال أسبوع)، و الأكيد في ختام هذا العنصر أن لكل ثورة وقود للوصول بها إلى المشهد الختامي لها الشهادة، أو النصر و هو ما يمكن إسقاطه على نتائج و إفرازات 20 أوت 1955.

4- زيغود يوسف و مؤتمر الصومام أوت 1956:

إن الاعتماد على بعض الشهادات والدراسات التاريخية التي أخذت نصيبها وحيز ليس باليسير عند التطرق لدراسة اجتماع بحجم مؤتمر الصومام، أو عن الشخصيات التي لها السبق في الدعوة إليه لتنسيق الجهود بين المناطق التاريخية لتوحيد الصف وتقييم ما آلت إليه الثورة بعد أكثر من عامين من انفجارها لأمر عسير يصعب على الباحث تسليط الضوء على كثير من النقاط التي بقيت ظلا في مسيرة الثورة، كما أن بعض تلك الشهادات قد أضافت إلى ذلك الظل غموضا وسجالات حول تساؤلات مهمة وجزئيات يفترض أن تجد لها تفسيرات وإجابات في ثنايا تلك الشهادات،

والتي تضفي نوعا من الانحيازية والأسطورية في رسمها لحدود بعض الحوادث التاريخية.

وبغض النظر عن الروايات المختلفة حول الأسبقية إلى عقد مؤتمر الصومام فإن الثابت أن القائد زيغود يوسف كان من أبرز القادة الذين لعبوا دورا محوريا في الدعوة إليه ثم تشجيعه لإنجاح تلك الفكرة التي تدعوا إلى عقد أول مؤتمر بالداخل في 20 أوت 1956[27].

ومن تلك الشهادات التي يمكن تقديمها وتسبيقها حتى على شهادة علي كافي [28] هي شهادة إبراهيم شيبوط الذي يشير أنه، وفي شهر سبتمبر من سنة 1955 عقد اجتماع عام تقيمي للهجومات بمكان طيراوي بمشتة أولاد مبارك، وأثناء هذا الاجتماع استقبل زيغود أعوان الاتصال القادمين من العاصمة وهم رشيد عمارة وابراهيم مزهودي كبداية لعلاقة جديدة بين وفدي منطقة العاصمة بقيادة عبان رمضان وقيادة المنطقة الثانية، ثم تلتها زيارة سعد دحلب[29] في مارس 1956، لناحية الشمال القسنطيني لتحديد مشروع لقاء مسؤولي الثورة المسلحة في مكان ما.

وفي نفس سياق هذه الفكرة يذهب علي كافي بالقول أن الطالب عمارة رشيد وصل إلى المنطقة الثانية دون تحديده للتاريخ، مذكرا أن الطالب دخل في نقاشات طويلة مع القائد زيغود الذي اقترح على هذا الأخير كموفد العاصمة ضرورة عقد مؤتمر وطني[30] من أجل بلورة الطريق الذي حدده نداء أول نوفمبر، وباعثا في الوقت نفسه برسالة مطولة إلى قيادة العاصمة (عبان رمضان وأعمران عمر)، وبعد اطلاع هذين الأخيرين على فحوى رسالة زيغود تم ارسال سعد دحلب إلى قيادة المنطقة الثانية ماكثا فيها قرابة ثلاثة أسابيع، وارتبطت بينه وبين قائد المنطقة الثانية علاقات مودة خاصة [31].

وبغض النظر عن الروايات المختلفة حول الأسبقية في الدعوة إلى عقد هذا الاجتماع (سواء الشهادتين التي أوردناهما، أو شهادات لم نتمكن من الإطلاع عليها) فإن الثابت أن زيغود يوسف كان من أبرز المحورين الذين دار عليهم فلك أشغال مؤتمر الصومام[32]، و برفقة مجلس المنطقة الثانية: بن طوبال، وبن عودة، ومزهودي، وكافي، وحسين روبيح.

ويرى الباحث عبد النور خيثر أن ثقل الرجل لم يكن غائبا عن أذهان القادة المؤتمرين الذين سمحوا له بصورة استثنائية بحضور نائبه بن طوبال كعضو أساسي في الجلسات الرسمية للمؤتمر[33].

ولم تسمح لنا الوثائق القليلة المتوفرة عن جلسات مؤتمر الصومام الرسمية منها وما تداول في الخفاء باستثناء الوثيقة الرسمية للنصوص الأساسية لـ (ج، ت، و) – على الأقل– لو كانت متاحة ومتوفرة لكانت كافية لتغطية بعض جوانب الظل عن أكبر مؤتمر للثورة المنعقد داخليا ، وعن رصد المواقف المختلفة للقادة المؤتمرين سواء منها المتباينة، أو المتآلفة كقضايا التعيينات في هيئات الثورة التي أنشاها الصومام كالمجلس الوطني للثورة الجزائرية ولجنة التنسيق و التنفيذ،

أو كيفية صياغة المحاور الكبرى التي حملتها وثيقة الصومام الرسمية.

وبحسب مذكرات كافي فإن المنطقة الثانية لعبت دورا لا يستهان به من خلال نشاط قائدها زيغود في اعتماد المؤتمرين تقرير المنطقة فيما يتعلق المجالس الشعبية التي كانت المنطقة الثانية المبادرة الأولى بها قبل المؤتمر، والذي صادق على أغلبية ما تضمنته بعض البنود المتعلقة أيضا بالجانب التنظيمي العسكري للولايات التاريخية عسكريا [34].

وبانتهاء أشغال مؤتمر الصومام عاد القائد زيغود بعضوية في المجلس الوطني للثورة الجزائرية وبرتبة صاغ ثان (عقيد) و قائدا للولاية التاريخية الثانية[35]، وقد حملت المناطق التاريخية تسمية الولايات التاريخية بعد المؤتمر، ولم تجب الشهادات المتواترة عن شخصية زيغود سبب وخلفية رفضه التام لعضوية لجنة التنسيق والتنفيذ، وتفضيله البقاء على رئس قيادة الشمال القسنطيني.

وقد أشارت بعض الأدبيات القليلة أن زيغود رفض المشاركة في الانتقادات التلقائية التي أبداها مساعده بن طوبال اتجاه عبان رمضان بل ووافق هذا الأخير فيما طرح من قضايا سياسية احتوتها وثيقة الصومام، وكان متبصرا ومتحفظا اتجاه مسألة [36] نتائج وانعكاسات هجومات الشمال القسنطيني على الشعب في تلك المنطقة التي تطرق إليها كل من بن مهيدي وعبان، والتي كانت من المسائل المتداولة في المؤتمر ولم تسجل في محضره الرسمي.

ولم تكن مكانة الرجل والقائد والشهيد زيغود يوسف مقتصرة على حدود منطقته التاريخية، والتي تحمس غداة عودته من المؤتمر لتطبيق ما جاء في بنود الوثيقة من قرارات ومبادئ عليها من جانب، كما كلف بأخطر قضية في تلك المرحلة وهي إعادة مكانة الولاية الأولى نشاطا وتنظيما من جانب آخر، والتي كان يعتز بها أيما اعتزاز، و قد تزايدت مسؤولياته اتجاه منطقة الأوراس النامشة باستشهاد أخويه في الجهاد على التوالي بشير شيحاني و مصطفى بن بولعيد، و كما قلنا كلفه المؤتمرون مع زميله إبراهيم مزهودي للذهاب إلى الأوراس لدراسة المشكل من أصوله، ومع القيادات المحلية الميدانية لإيجاد تسوية لمشاكل استعصى حلها بين القيادات المتنافرة في الأوراس [37].

ولكن القدر لم يمهل زيغود يوسف سوى أياما معدودات بعد عودته إلى منطقته التي رقيت إلى ولاية على ضوء قرارات الصومام التنظيمية، وبينما هو متنقل من مكان لآخر في مهامه الشاقة ومسؤولياته العديدة لترسيخ الثورة و تطوير الكفاح المسلح بولايته، وبالمكان المسمى الخربة بدوار الحمري، وبعد أربعة عشر يوما من وصوله من الرحلة الشاقة إلى المؤتمر، و في دار أحد المناضلين بسيدي مزغيش (سكيكدة) خرجت عليهم فرقة كومندوس فرنسية وقضت على زيغود و سبعة ممن معه من المناضلين و المجاهدين في 23 سبتمبر 1956 بعد معركة بطولية، وقد استقبل خبر استشهاده بالبكاء والزغاريد مؤديا في ذلك واجبه الوطني كاملا، والذي عاش له

معززا ومقدسا له بسلاحه و نفسه و تواضعه و انسانيته [38].

وحسب شهادة شيبوط فإن القائد زيغود يوسف قد سقط بساحة الشرف بالمكان الذي قضى فيه على وحدة جيش فرنسية بكاملها مع أسره لجندي فرنسي فيها وكان ذلك في ماي 1956، وبتاريخ 23 سبتمبر من نفس السنة سقط زيغود شهيدا فيها، و المؤسف حسب شهادته أنه لم تحضر له مساعدة من طرف جيش التحرير الوطني و السبب يرجع إلى مبتغى القائد زيغود الذي لم يكن يصطحب معه إلا فرقة قليلة من الجنود لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، وبحسب شهادة شيبوط فإن زيغود يوسف ترك بعد استشهاده 1659مجاهدا و 5000 مسبل في الوقت الذي بلغت قطع الأسلحة 325 مسدس حرب، و 3750 مسدس صيد، وأكثر من 20 مليون فرنك في خزانة الولاية الثانية التاريخية [39].

الخاتمة

أثبت القائد و الشهيد - العقيد زيغود يوسف أنه بطلا من طينة الكبار، فإرادته القوية جعلته ينخرط مبكرا في حزب الشعب، وفيه زار زنزانة سجن عنابة إلا أن إرادته الفولاذية قادته خارج ما كان ينتظره في أتون و غياهب المحكمة المنتظرة له، ثم ارادته في لملمة التعثر الواضح لمنطقته الثانية غداة الانطلاقة الثورية خاصة بعدما تولى قيادة المنطقة الثانية باستشهاد رفيق دربه ديدوش مراد فكانت نظرته اشعال فتيل الثورة بالطريقة التي رآها مناسبة، وفي حدود الظروف التي تحياها منطقته ففجر هجوم الشمال القسنطيني الذي حقق نتائج باهرة وعلى مختلف المستويات السياسية منها والعسكرية، والداخلية والخارجية على الرغم من بعض الانعكاسات السلبية (ثمن ضريبة الدم التي دفعها الشعب في المنطقة بين 7000 و 12000 شهيد).

ولكن لابد من تضحيات في مستوى التطلعات الشعبية (الاستقلال) كما اختتم إرادته بمشاركته الفعالة في أشغال المؤتمر الوطني الأول للثورة التحريرية بالصومام 20 أوت 1956.

وقد لخص شيبوط إبراهيم رفيق دربه في السلاح في أمنية القائد زيغود الذي يرى أنها تتحقق في ثلاث مطالب رئيسية وحيوية بنظره: المعرفة والعلم، والصحة والعدالة الاجتماعية بين الجزائريين، وهل يمكن القول أنه تنبئ بضرورة تحقيق ثلاثية البعد الاستشرافي لزيغود على المجتمع الجزائري، أم أن التجربة المريرة له علمته قيمة هذه المبادئ الحيوية التي حاول بها صنع وتحريك الرجال كقائد لا مثيل له. إلا أن الاستثناء والهدف الذي أراد تحقيقه حسب شهادة زوجته المولودة طرايفة عائشة [40]، والتي نقلها إبراهيم شيبوط في شهادته قولها تمنى ما يريد " أنا أتمنى السقوط شهيدا ولا أتمنى حضور الاستقلال حتى لا أحيد ولا أفسد بالإغراءات المادية والطموح السياسي المفرط ".

ـ الحواشي والإحالات:

1 – بالرغم من مشاركة قطاع قسنطينة بالنصيب الأوفر في حضور قدماء المنظمة الخاصة و الفارين من الجيش الفرنسي في هذا الاجتماع إلا أن الخلاف الذي نشب بين بوضياف و مجموعة قسنطينة (مشاطي، حباشي، رشيد ملاح، بوعلي) وانسحاب هذه الأخيرة من الاجتماع اضعف نسبيا موقف المنطقة أثناء عملية التفجير، وكان سبب الخلاف الصيغة التي تم بها تعيين القيادة الوطنية (مجموعة الخمس) و رفضهم لقيادة ديدوش مراد على الشمال القسنطيني والمطالبة بتثبيت رابح بيطاط فيها، ولم يكن مطلقا بأنها متعلقة بمواقف التردد أو متخاذلة من هذه المجموعة عن العمل المسلح ولكن انعكاسات هذا الموقف ما لبث و أن ظهرت نتائجه السلبية على الانطلاقة العرجاء للثورة في الشمال القسنطيني بالرغم من كونها الخزان الرئيسي للإطارات التاريخية التي فجرت الثورة.

2 – يمكن معرفة النشأة الاجتماعية و النضالية للشهيد الثائر داخل تيار الاستقلالي وعبر مراحله المختلفة بالاستعانة بالمراجع التالية دون الحصر إبراهيم سلطان شيبوط، زيغود يوسف الذي عرفته " شهادة " (ت)، ترجمة قندوز عباد فوزية، منشورات الحركة الوطنية بالأبيار 2011، ص- ص: 24 – 51، وأيضا محمد عباس، ثوار عظماء " شهادات تاريخية وطنية " ، دار هومة للنشر و التوزيع و الطبع، 2005 الجزائر ص ص: 195-203.

3 – محمد الطيب العلوي، " الشهيد يوسف زيغود القائد الشعبي المتواضع " مجلة الذاكرة، ع5، منشورات المتحف الوطني المجاهد، أوت 1998، ص 60

4 – عبد النور خيثر، تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية 1954-1962، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، (إشراف)، أ د حباسي شاوش، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2005-2006، ص 254

5 – تتفق غالبية الدراسات التي تناولت شخصية زيغود يوسف عن زهده في ملاذ الدنيا و عن حسن سلوكه الاجتماعي، و عن أخلاقه و معاملاته لجنوده، و في هذا الصدد ينقل محمد الطيب العلوي شهادة لصالح مرسي أنه و زيغود و شخص ثالث معهما كانوا يتناوبون على حداء واحد في مسيرة طويلة بينهم إنه نوعا من التصوف الثوري المثالي المحشو بالإخلاص. إنه تصوف نادر الوجود في القادة، و يروي الطاهر زبيري في مذكراته أنه لاحظ أن القائد زيغود يوسف، و من خلال مكوثه ثلاث أيام عنده بعد فراره من سجن الكدية أنه يستيقظ على الخامسة صباحا ليقوم بتدريب فوج من الجنود لمدة ساعتين، ثم يضبط الحراسة جيدا تحسبا لأي عملية عسكرية مباغتة للجيش الفرنسي، و في شهادة أخرى وعلى لسان سعد دحلب الذي نزل ضيفا على زيغود و لمهمة في الأوراس اندهش من شخصية يوسف معتبرا اياه قائدا عظيما و هو الذي علق عليه بقوله " كان رزينا و متبصرا، و كان بإمكانه البقاء لساعات طويلة يفكر منعزلا، و في نفس الوقت كان لا يخلد للنوم قبل رفاقه ويستيقظ قبلهم " ينظر: ابراهيم شيبوط، الشهادة السابقة، ص 109 و الطاهر زبيري، مذكرات أخر قادة الأوراس التاريخيين (1929-1962)، طبع ANEP 2008، ص 118، و كذلك، سعد دحلب، المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، دار دحلب للنشر 2007، ص 35، 36.

6 – ويذكر العقيد كافي في مذكرته هذه الحوادث بتعليق بسيط مركزا على العمليات التي كانت في ذكرى احتلال الجزائر المصادف للخامس من جويلية، و تميزت العمليات بالكمائن الموجهة ضد المنشآت الاقتصادية خاصة تخريب شبكة الطرق الرئيسية بين المدن و القرى مما تسبب في هزة نفسية لقوات العدو و بذلك و ضع حد لملاحقة وحدات قوات العدو لوحدات قوات جيش التحرير الوطني . ينظر علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، ط2، دار القصبة للنشر، 2011، الجزائر، ص

100، 101.

7 – أحد القادة العسكريين الفرنسيين الذين شاركوا في معركة ديان بيان فو بالهند الصينية و كان يلقب ديكورنو الصاعقة. ينظر علي كافي، المرجع السابق، ص 100.

8 – المتحف الوطني للمجاهد، الشهيد زيغود يوسف، دار هومة للطبع و النشر، الجزائر، 2001، ص77.

9 – عمار قليل، المرجع السابق ص 304.

10– محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الاسطورة و الواقع 1954–1962 (ت) كيمل قيصر داغر، ط1 مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1983، ص 114.

11– تتباين الدراسات و الأدبيات التاريخية في وصف و نعت هذا الحدث التاريخي الهام فمحمد حربي يقر بأنها مجازر و يذهب سليمان الشيخ بالقول بأنها لغة العنف المنظم الذي يفهمه الاستعمار و حصره في عمليات (التخريب، مظاهرات، الاضطرابات، العمليات الفدائية)، وينتهي إلى القول بأنها محصلة للهجوم الكبير يوم 1955/08/20 كحوار بلغة السلاح التي طالما احتقر الاستعمار شعبه وقيادته، و اختزلها صديق و زميل زيغود يوسف ابراهيم شيبوط بقوله أنها عملية 20–22 أوت 1955 وهو نفس الطرح الذي ذهب اليه علي كافي في مذكرته بقوله هكذا تم الاعداد لـ 20 أوت 1955 و مزج معمري خالفة في كتاب عبان رمضان بين مفاهيم عدة فهي تارة عملية وتارة أخرى أحداث و في مرات عديدة انتفاضة. يمكن العودة إلى: معمري خالفة، عبان رمضان (ت) زينب زخروف، ط2، منشورات ثالة الجزائر، 2007، ص ص 261–281 و ص 335، 336. وأيضا سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، دراسة تحليلية في الحركة الوطنية و الثورة المسلحة (ت) ، محمد حافظ الجمالي، دار القصبة للنشر 2007، ص 239. وكذا ينظر محمد حربي، حياة تحدي وصمود مذكرات سياسية 1945–1962 (ت) عبد العزيز بو باكير و علي قسايسية، دار القصبة للنشر، 2004، ص 160، وحسب ما أفرزته طبيعة بداية الهجومات و انعكاساتها و افرازاتها داخليا وخارجيا فإن الهجومات قد بدأت بهذا المفهوم ثم تطورت و أصبحت انتفاضة عارمة خلال فترة اندلاعها، وإنتهت كما يؤكد حربي بمجازر دموية اقترفتها أيادي قوات و جنود الاحتلال سواء الفرنسية منها بصفة خاصة أو الهجينة منها خاصة فرقة السينغاليين واللفيف الأجنبي بصفة عامة.

12– يمكن العودة إلى ما أقره الطاهر زبيري من حيث أن هناك نداء من قادة الاوراس إلى المناطق الأخرى للتحرك وفك الحصار على الأوراس، وتخفيف الضغط العسكري الفرنسي عليها، واستجابة لحينها البطل زيغود يوسف الذي بدأ يفكر في طريقة ما للقيام بهجومات واسعة على العدو الفرنسي بمنطقة الشمال القسنطيني غير أنه كان يفتقد للسلاح، و لمواجهة هذا المشكل أرسلت المنطقة الأولى بعض الجنود نحو الشمال القسنطيني للمشاركة في الهجومات، وفي هذا الصدد اصطحب الطاهر القسنطيني 24 مجاهدا من الاوراس كما قاد عيسى عبد الوهاب 12 مجاهدا وأشرف على عبور هؤلاء القائد صالح بوبنيدر مشاركين في تلك الهجومات. و بالمقابل يؤكد محمد عباس أن خليفة بن بولعيد بعث برسالة إلى زيغود يوسف يصف فيها خطورة الوضع بالمنطقة الاولى نظرا لاشتداد الحصار عليها وحثه على فعل شيء من أجل تخفيف الضغط المفروض. ينظر الطاهر زبيري: المرجع السابق، ص 125، و علي كافي، المرجع السابق ص 106، و محمد عباس، المرجع السابق، ص 356، وكذا موسى تواتي، و رابح عواد، هجوم 20 أوت 1955، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1992، ص 13.

13– بودنا الإشارة إلى بعض السلبيات التي حملتها مذكرات كافي على الرغم من أهميتها البالغة كمصدر من مصادر البحث التاريخي في فترة الثورة الجزائرية إلاّ أن كثرة التساؤلات و الأقواس المفتوحة دون مبررات ولا

تفسيرات لألغاز كثيرة وعلى امتداد فصولها دون توضيحات لسياقاتها التاريخيةلم يسمح لنا ذلك كله باستيعابها أو تقديمها كدليل ملموس يقتدى و يعتمد عليه و كمثال على ذلك إشارته في (ص 107) من الطبعة المنقحة والمزيدة أن زيغود يوسف بعث إلى المنطقتين الأولى و الثالثة برسالتين يدعوهما إلى القيام بعمليات منسقة وحدث – بحسبه – ما لم يكن في الحسبان بوقوع مبعوثي المنطقة الثالثة في قبضة العناصر المصالية في البويرة وإغتيلا غدرا ! و صادف الوفد الثاني إستشهاد بشير شيحاني ؟ ! و لم يذكر في هذا الصدد التاريخ ولا حيثيات الواقعة و التساؤل المهم الذي يمكن طرحه هنا متى بعث زيغود يوسف مبعوثه للأوراس هل قبل الهجومات (كما يذهب إلى ذلك كافي) أم بعد هجومات الشمال القسنطيني ؟ أم مع بداية معارك الجرف التاريخية سبتمبر 1955 ؟ أم أن المشكل هو عدم وصول المبعوث إلى عين المكان في الوقت المحدد، و هل شارك هذا المبعوث في هجومات الشمال القسنطيني لأن المتوفر من معلومات و ما مر معنا يؤكد بعث بشير شيحاني للأسلحة والرجال لمساعدة القيادة بالمنطقة الثانية في تفجير هجوم الشمال القسنطيني، و كان الطلب الرئيسي في رسالة شيحاني إلى زيغود يوسف القيام بعمل ما في المنطقة الثانية لتخفيف الحصار على المنطقة الأولى.وفي ختام هذه الإشارة بودنا تقريب الباحثين إلى الدراسة النقدية الهامة للمجاهد محمد قديد و رغم صغر حجمها فإنها تحمل من التصحيحات و التنقيحات ما يقوي و جهة نظرنا حول مذكرات كافي و ما تحمله من دلالات و قراءات سمحت لنا بالتأويل و التعليق عليها سلبا، و في هذا الصدد نشير إلى تساؤل كافي في مذكرته و في صلب الورقة البحثية التي نحاول إماطة اللثام عن بعض الجوانب الغامضة فيها يمكن العودة إلى ماقاله صاحب المذكرات أنه و مع نهاية الاجتماع التاريخي بالصومام بقوله أن بن مهيدي قال لزيغود (سنتقابل عن قريب في شارع إيزلي...، في نهاية هذه السنة أو مطلع 1957 للاحتفال بالنصر) كيف و لماذا دون تقديم حجة أو دليل و هل يمكن القبول بهذا الطرح الذي فتح لنا احتمالين أولاهما هل هو قرب نهاية الزمن العسكري للثورة ؟ أم هناك مفاوضات سرية غير رسمية بين وفد العاصمة و الوفد الفرنسي، و بهذه التعليقات و التأويلات التي فتحت مجالا لسجال ايديولوجي بين المجاهدين في وقت من الأوقات خاصة على هذه المذكرات. ينظر محمد قديد، الرد الوافي على مذكرات كافي، در هومة للنشر الطبع و التوزيع، 2001، الجزائر، ص ص: 1-103. وأيضا علي كافي، المرجع السابق ص 107.

14- أحسن بومالي، إستراتجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1956، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، (د، د، س، ن)، الجزائر، ص 207.

15- ذهب علي كافي بالقول بأن الاجتماع التحضيري لإعداد الهجومات كان في شهر جويلية من سنة 1955، بينما ينحو عمار قليل بالقول بأن الاجتماع كان بين 25 جوان و 01 جويلية و بحسبه حضره أكثر من 100 مجاهد تحت قيادة زيغود يوسف، وتم فيه رسم الخطوط العريضة للعمليات، وفي ما بعد تم اجتماع قادة النواحي الذي انعقد في 19 أوت 1955 لوضع اللمسات النهائية لمخطط الهجوم، في الوقت الذي يشير فيه أحسن بومالي إلى أن الاجتماع بدأت أشغاله في 23 جويلية 1955 واستمرت إلى غاية الشهر و تحت اشراف زيغود و بنفس عدد المجاهدين الذين تم ذكرهم سلفا. و يمكن الاشارة أن هذه الدراسات تتفق على شهر جويلية كمعلم زمني بارز تم في حيز التحضير للهجومات التاريخية للشمال القسنطيني.

16- هناك من الدواعي والأسباب التي أدت إلى إقحام السكان في معركة الهجوم فهو يوم عطلة وفيه يجتمع و يلتقي سكان مدينة سكيكدة بالسوق الأسبوعي حيث يتوافد عدد كبير من المواطنين من مختلف المناطق المحاذية لها مما يسهل دخول جنود جيش التحرير الوطني إلى المدينة بالزي المدني مخفيا اللباس العسكري و السلاح هذا من

جهة، ومن جهة أخرى اختير هذا اليوم لأنه نهاية الأسبوع وبداية العطل و الإجازات للجنود الفرنسيين ورجال الشرطة و الدرك.

17- لا يمكن لنا في حيز هذه الورقة البحثية سرد كل تفاصيل الهجومات و التي لم تستثن فيها المدن و القرى المذكورة في مخطط الهجوم، و قد حققت في ذلك بعضا من أهدافها إلا أنها أذهلت المعمرين و القوات الفرنسية التي استدعت قوات الفيلق التاسع للمدفعية لمحاصرة و غلق مداخل و مخارج مدينة سكيكدة و التحضير لمجزرة رهيبة بها. و يمكن العودة إلى زخم هائل من الدراسات التي تناولت تلك الهجومات منها مثلا – لا حصرا – موسى تواتي و رابح عواد: المرجع السابق، و أيضا المنظمة الوطنية للمجاهدين: مجلة أول نوفمبر (عدد خاص) ، بتاريخ 20 أوت 1973 و من خلال عناوين، (من ذكرى 20 أوت 1955، و ملحمة 20 أوت في الشمال القسنطيني، و شاهدا عيان يرويان 20 أوت بالقل) ص ص: 7-33، و أيضا مصلحة البحوث والتوثيق: " هجوم 20 أوت 1955 على الشمال القسنطيني " مجلة المصادر، (ع3) مركز دراسات الحركة الوطنية بالأبيار، ص ص:166-170

18- يعود الفضل في دراسة القضية الجزائرية في مؤتمر باندونغ 1955 إلى الزعماء جمال عبد الناصر المصري والرئيس الهندي نهرو والأندونسي أحمد سوكارنو الذين آثروا على ترك ممثلي ج، ت، وللمشاركة في أشغال المؤتمر كوفد ملاحظ (يتكون من آيت أحمد، أمحمد يزيد)، و أوصى المؤتمر بعرض القضية الجزائرية على الجمعية العامة للأمم المتحدة، و فعلا قدم مندوبو (14) دولة افريقية وآسيوية رسالة إلى الأمين العام للهيئة الأممية بتاريخ 29 جويلية 1955 وتم تقديمها إلى الجمعية العامة في سبتمبر من نفس السنة و صرح حينها جاك سوستال بأن هذا الحدث ذا قيمة معنوية للجزائريين أكثر من حصولهم على السلاح، ينظر: عبد القادر خليفي، " المؤتمرات الأفروآسيوية والقضية الجزائرية " مجلة المصادر، (ع8) مركز دراسات الحركة الوطنية بالأبيار، الجزائر، 2003، ص 224، 225.

19- إن الشخصية المشار إليها في المتن هو ابن أخ فرحات عباس ومستشارا بلديا لمدينة قسنطينة و قد حكم عليه بالإعدام لأنه نشر بيانا جاء فيه " نحن المنتخبين الشرعيين للشعب الجزائري ندين العنف من أي جهة كانت " ومعنى ذلك بتعبير علي كافي أنه يساوي بين الثورة والاحتلال بالإضافة إلى مشاركته في تكوين جمعية الأخوة الإسلامية الفرنسية. ينظر علي كافي، المرجع السابق، ص 107، وأيضا سليمان الشيخ، المرجع السابق، ص 280.

20 – في شهادة للمجاهد أحمد هبهوب والذي شارك في أشغال الإجتماع التحضيري لهجوم 20 أوت 1955 برفقة أكثر من مئة مجاهد وتحت قيادة زيغود يوسف أكد أن قائد المنطقة الثانية حث الحاضرين من المجاهدين بتحمل المسؤولية ووجوب دفع ضريبة الدم التي لا شيء غيرها لإنقاذ الثورة من الهلاك المحقق، وقد حدد في الاجتماع رقم 5000 شهيد الواجب دفعها من أبناء المنطقة كضحايا محتملين للرد القمع الفرنسي مما يعني أن القائد زيغود كان على علم بما ستؤول إليه إفرازات الهجومات من طرف القوات الفرنسية التي ضنت انها وجدت الملاذ الآمن في الشمال القسنطيني بعد البداية الثورية المتعثرة فيها. ينظر عثمان الطاهر علية، الثورة الجزائرية أمجاد و بطولات، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، (د، س، ن)، ص 81، وأيضا إبراهيم شيبوط، الشهادة السابقة، ص 71.

21- بول أوساريس، شهادتي حول التعذيب مصالح خاصة الجزائر 1957 –1959، (ت) مصطفى فرحات، دار المعرفة للنشر، الجزائر، 2008، ص 64.

22- إبراهيم شيبوط، المرجع نفسه ص 71.

23- ذكر علي كافي أنه وبعد الهجومات وزعت تعليمة لتقييم نتائج العملية في المكان المسمى الكرمة قرب سمندو برئاسة زيغود برفقة مساعديه، في الوقت الذي أشار عمار قليل إلى مكان تايراوا شرق سطارة كمكان اجتماع تقييم نتائج الهجومات وتم ذلك في شهر نوفمبر 1955 دون ذكر الأول للمعلم الزمني لانعقاد الاجتماع التقييمي. ينظر: عمار قليل، المرجع السابق، ص 343، و علي كافي، المرجع السابق، ص 111.

24- علي كافي، المرجع السابق، ص 111، 112.

25- أحسن بومالي، المرجع السابق، ص 250

26- أوساريس، المرجع السابق، ص 78.

27- عبد النور خيثر، المرجع السابق ص 259.

28- ينظر تعليقنا حول مذكرات علي كافي وعلى الرغم من أهميتها فإننا نقول و تأكيدا لما سبق أستحضر في هذا الحيز ما كتبه في الصفحة 87 أنه و أثناء التحاقه بالثورة (لم يلتحق بالصفوف الأولى للثورة في بدايتها بل كان مركزي التوجه) أشعره الوضع العام بنوع من الغوضى وعدم الوضوح! إن هذا القول يفتح الكثير من التأويلات ففي اعتقادي أنه وقبيل التحاقه بالثورة لم تكن أدنى فكرة بالثورة أو على الأقل علاقتة ببن طوبال الذي قال في إحدى شهاداته بأننا أثناء اجتماع 22 كنا امام خيارين: إما التنظيم ثم انطلاق الثورة أو العكس و بالإمكانات المتوفرة و الشهادات في ذلك متواترة منها شهادتي بيطاط و بوضياف، و في الصفحة 88 من المذكرات يقول كافي إن الثورة لا تقبل قيادات جاهلة في إشارة إلى قائد فرقته الدراجي العايب و قد سرد القصة بنوع من التعالي واصفا إياه ببعض الأوصاف التي لا يليق المقام ذكرها هنا، يمكن العودة إلى عمار بوحوش: "تحويل المنظمة الخاصة إلى جبهة التحرير الوطني " مجلة الذاكرة، ع3 المتحف الوطني للمجاهد، خريف 1905، ص 41، 42، و أيضا محمد قديد، المرجع السابق ص 97، 98.

29- بالعودة إلى تأليف معمري خالفة حول عبان رمضان الذي يشير إلى موفد العاصمة إلى المنطقة الثانية كان هدفه الأساسي تتمة المسيرة إلى المنطقة الأولى للإطلاع على الظروف السائدة فيها، والتي كان يعتقد أنها تحت قيادة بن بولعيد، و كانت الفترة متأرجحة بين فيفري و مارس 1956، ولم تكن بحسبه أن المهمة ذات صلة بمؤتمر الصومام والذي لم يكن مبرمجا آنذاك في هذه الزيارة بخلاف الشهادات المتواترة التي تنحوا بالقول أن زيارة سعد دحلب كانت من أجل ترتيب مكان انعقاد المؤتمر التنظيمي للثورة. ينظر معمري خالفة، المرجع السابق، ص 324، وإبراهيم شيبوط، الشهادة السابقة، ص 89.

30- بالنسبة لمعمري خالفة لا تهمه الشهادات المتواترة حول أسبقية زيغود في المبادرة لعقد في مؤتمر وطني للثورة، أو تزامنها مع فكرة عبان رمضان مستدلا في ذلك من جملة من الشواهد و الدراسات التي تدلل حسبه على أن الفكرة و التحضير و التنظيم و سير الأشغال و القرارات المنبثقة عن المؤتمر كلها محطات أشرف عليها عبان. ينظر معمري خالفة، المرجع نفسه، ص 313.

31- لم يذكر كافي سبب زيارة سعد دحلب إلى المنطقة الثانية هل هي تحضير المؤتمر الجامع ام استغلها كمحطة للعبور إلى المنطقة الأولى و معرفة أوضاعها.

32- فرضت السياسة التطويقية للقوات الفرنسية على منظمي الاجتماع تغيير مكان انعقاده لأكثر من مرة فمن المشروحة بالقاعدة الشرقية إلى بوالزعرور بالشمال القسنطيني إلى أماكن عدة بالمنطقة الثالثة لعقده منها لعزازقة وبني وقان بناحية البيبان ثم بقلعة بني عباس بآقبو، واستقر المقام بالقيادة على أن يكون الاجتماع بدوار أوزلاقن بجبل آزرو من جهة اليسرى لوادي الصومام المحاذي لغابة آكفادو. ينظر عمار قليل، المرجع السابق،

ص 407، 408 وأيضا معمري خالفة، المرجع السابق ص 327.

33- عبد النور خيثر، المرجع السابق ص 259.

34- علي كافي، المرجع السابق ص 134.

35- مديرية المجاهدي لولاية سكيكدة، شهداء الجزائر في ولاية سكيكدة 1954-1962، دار الفجر للطباعة و النشر، (د، س، ن) ص 332

36- عندما تطرق كل من بن مهيدي وعبان إلى نتائج الهجومات ومسألة الليلة الحمراء بالولاية التاريخية الثالثة تحت قيادة عميروش و كمين سكامودي بالولاية الرابعة تحت قيادة كموندوس علي خوجة لم يرغبا في الإدانة أو إلقاء اللوم على أحد، و إنما أرادا فقط التنبيه إلى الانعكاسات الخطيرة التي قد تنجر عن تسيير الثورة بمثل هذه الطرق التي قد تؤدي إلى رفع مساندة الرأي العام المحلي والإقليمي و الدولي للثورة، لكن المؤسف وفي سياق تعليق معمري خالفة حول رد العقيد عميروش بقوله بأن الذبح أصبح طابعه الخاص ؟ينظر: معمري خالفة المرجع السابق، ص ص: 334-339.

37- محمد الطيب العلوي، المقال السابق، ص 73.

38- مديرية المجاهدين بولاية سكيكدة، المرجع السابق، ص 333.

39- إبراهيم شيبوط، الشهادة السابقة، ص 98.

40 - نفسه ص 96.

Zighoud Youcef and the revolutionary planning of the northern region of Constantine 1956-1955

Dr. Djamel BELFERDI*

Abstract:

The study of the path of the Algerian Revolution shows that its greatness is the sacrifices made to achieve the goal of national independence as recorded in the last line of the statement of November 1, 1954. The martyr Zighoud Youcef was one of the heroes of Algeria who played a pivotal role in the start of the revolution, as well as the attacks of the North of Constantine in August 1955, where he was its leader. In this paper, we address aspects of this historic event.

Key words: the attacks of 20/08/1955, Zighoud Youcef, The historical northern region of Constantine.

* Faculty of Social and Human Sciences - University of El-Oued. – Algeria.